

في عظمة نبيّ الرحمة والإمام الصادق عليهما السلام



كتب المرجع الديني المرحوم آية الله العظمى الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكاني مقالا تطرق فيه إلى عظمة نبيّ الرحمة والإمام الصادق عليهما السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

ما كتب من الكتب والآثار في خصائص نبيّ الإسلام وخاتم المرسلين نبيّنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله ومناقبه كثيرة جداً.

* في كلام الكتاب والشعراء:

ما أكثر من كتب في فضائل النبي صلى الله عليه وآله ومدحه من المسلمين سنة وشيعة ومن المستشرقين، وما أكثر من نظم في مدحه من شعراء العرب والعجم، والكل منهم يعترف بعجزه ويدعن بقصوره في وصفه ومدحه .

من شعراء العرب أحمد شوقي إذ يقول:

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ * وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَثَنَاءُ

الرُّوحُ وَالْمَلَأَ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ * لِدِّينِ وَالِدُنِيَا بِهِ بُشْرَاءُ

وَالْعَرَشُ يَزْهُو وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي * وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَمَمَاءُ

إلى أن يقول: بَرَكَ بَشِيرِ الْإِسْمَاءِ فَزُرِّي يَنْدَتُ * وَتَهَضُّوْا عَتَ مَسْكَاءَ بَرَكَ الْغَبْرَاءِ

يَوْمُ يَتِيهِ عَلَيِ الزَّمَانِ صَبَاحُهُ * وَمَسَاؤُهُ بِمُحَمَّدٍ وَضَاءُ (1)

ومن شعراء العجم سروش الاصفهاني الملقب بشمس الشعراء، إذ يقول:

امروز فسرد آذر برزین * کردند براق مَحْمَدَتِ را زین

امروز بهشتیان به استیرق * بستند بهشت عدل را آذین

امروز شکست صفّه کسری * وآمد به جهان یکی درست آیین

سالار پیامبران ابوالقاسم * آن کرده خطاب، ایزدش: یاسین

چون شعله كشد جحيم آتش را * حبّ وي وآل وي دهد تسكين

كان هذا نموذجاً من الأشعار في وصف النبي الخاتم ومدحه صلى الله عليه وآله.

* في القرآن الكريم

مهما قلنا نحن في مدح النبي صلى الله عليه وآله أو اعترف الآخرون، إلا أن القرآن الكريم فوق الجميع:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَافِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.» (2)

أجل، يقف الانسان عاجزا أمام هذه الشخصية العظيمة، بل حتى العظماء من البشر اعترفوا بقصورهم.

* في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

علينا أن نقتفي آثار مدح النبي صلى الله عليه وآله في كلام امير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فمثله هو من يؤدي حق مديحه ويصف مكارم أخلاقه ونبل شخصيته، إن أردنا أن نتعرف على عظيم سيرته وصفاته الحميدة فعلينا أن نقرأ خطبته عليه السلام الشريفة في نهج البلاغة التي يقول فيها «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَأَمِينًا عَلَى التَّائِبِينَ وَأَنْزَلْنَا مِنْ سَمَوَاتِهِ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَزَكَّاهُ وَأَكْرَمَهُ بِمَتَابِعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلَهُ أَحْسَنَ الْبَشَرِ ثُمَّ أَجْعَلُكَ مِنْ خَيْرِ الْمَخْلُوقِينَ وَتَسْمِعُكَ نَجْمَ الْوَسْمَاءِ كَمَا تَسْمَعُ الْوَسْمَاءُ نَجْمَ الْوَسْمَاءِ» (3)

وَتَقَطَّعُونَ أَرْحَامَكُمْ ° الْأَصْنَامُ فِيكُمْ ° مَنْذُورَةٌ ° وَالْآثَامُ بِكُمْ ° مَعْصُورَةٌ. «(3)

ويقول في موضع آخر من كتاب نهج البلاغة : «أشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ وَمَنْهَاجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَآلِهِمْ وَسَلَّمَ.»(4)

وينقل عليه السلام في خطبته المعروفة بالقاصعة معجزة للنبي صلى الله عليه وآله يقول أحد المؤرخين فيها: لا أشك أن من عاصر النبي صلى الله عليه وآله حين وقوع تلك المعجزة وشاهدها كان منهم من يسمع هذه الخطبة لأمر المؤمنين عليه السلام ويقر بوقوع تلك المعجزة.

يقول عليه السلام فيها : «لَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ. فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنْ زَكَّ قَدَرُكَ قَدَرِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْزَلْتِ أَعْجَبْتَنَا إِلَيْهِمْ وَأَرِيْتَنَا عِلْمَنَا أَنْزَلْتَ نَبِيًّا وَرَسُولًا وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عِلْمَنَا أَنْزَلْتَ سَاحِرًا كَذَّابًا. فَقَالَ: وَمَا تَسْأَلُونَ؟ قَالُوا: تَدْعُونَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ فَقَالَ: إِنْ عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فَإِنْ فَعَلَ الْإِسْلَامُ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنِّي سَأُريكُمْ مَا تَطْلُبُونَ وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيضُونَ إِلَيَّ خَيْرٍ وَإِنِّي فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الثَّقَلَيْنِ وَمَنْ يُحْزَبُ الْآخِرِ أَبًا. ثُمَّ قَالَ: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنِينَ بِالْإِسْلَامِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنَّ نَبِيَّ رَسُولُ الْإِسْلَامِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّْ بِإِذْنِ اللَّهِ.»

«فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَأَنْقَلِعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنَحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ مُرْفُوفَةً وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكَبِي وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ. فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَيَّ ذَلِكَ قَالُوا: عَلُواً وَاسْتَكْبَاراً فَمُرُّهَا فَلَيْتَ أَنْ تَرَكَ نَصْفُهَا وَيَبْقَى نَصْفُهَا.»

فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّهِ دَوِيًّا

فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ . فَقَالُوا: كُفُّرًا وَعُتُوبًا. فَمُرْ هَذَا الذِّصْفَ
فَلْيَرْجِعْ إِلَيَّ نِيصْفِيهِ كَمَا كَانَ. فَأَمَرَهُ فَرَجَعَ»

لذا قال عليه السلام: «فَقُلْتُ: أَمَا لَنَا إِلاَّ إِلَهٌ إِلاَّ اللَّهُ إِنِّي أُوِّدُ مِنْ بَيْتِكَ يَا
رَسُولَ اللَّهِ وَأُوِّدُ مِنْ أَقْرَبِ بِلَانِ الشَّجَرَةِ فَعَلَّاتٍ مَا فَعَلَّاتٍ بِأَمْرِ اللَّهِ
تَعَالَى تَصُدِّيقًا بِذِيكَ وَإِجْوَلاً لِكَلِمَتِكَ» (5)

* المستشرقون وشخصية النبي صلى الله عليه وآله

أجل، مهما تحدثنا لا نستطيع أن نلم بجانب واحد فضلا عن جميع أبعاد وجوانب شخصية النبي صلى الله عليه وآله
وآله حتى الأجانب والمستشرقين اعترفوا مجبرين وانحنوا أمام عظمة هذه الشخصية :

طوماس كارلايل ذكر في كتابه «الأبطال» أسماء الأبطال في مختلف الأصناف، مثل في صورة القائد، والبطل
في صورة الشاعر، يذكر: البطل في صورة النبي، ويقول البطل هو ليس موسى ولا عيسى ولا إبراهيم، وإنما
يقول: بطل النبوة هو محمد.

* شخصية الإمام الصادق عليه السلام:

شخصية الإمام الصادق عليه السلام كشخصية جدّه شخصية عظيمة أيضاً. عرف بمدرسته الكبرى التي أسسها
مناراً للأمة الإسلامية، والتي لا نبالغ إن قلنا أنه لولاها لأضحى ما وصلنا من الدين ناقصاً.

يقول أبو حنيفة: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد.» (6)

وقد ألف ابن عقدة المتوفى في سنة 333 هجرية ، كتابا باسم «أسماء الرجال الذين رووا عن الصادق

عليه السلام" ذكر فيه أسماء أربعة الاف رجل ممن نقل الحديث عن الامام عليه السلام وأخذ عنه العلوم، ولكن للأسف هذا الكتاب الذي أشار إليه بعض الأعظم ضاع أو ضيع كغيره. (7)

ينقل النجاشي في رجاله عن أحمد بن عيسى الأشعري : «قَالَ: خَرَجْتُ إِلَى الْكُوفَةِ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ فَلَقَيْتُ بِهَا الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْوَشَّاءَ فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيَّ كِتَابَ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينِ الْقَلَاءِ وَأَبَانَ بْنِ عُمَانَ الْأَحْمَرَ فَأَخْرَجَهُمَا إِلَيَّ فَقُلْتُ لَهُ: أَحَبُّهُمَا لِي. فَقَالَ لِي: يَا رَحِمَكَ اللَّهُ وَمَا عَجَلْتُكَ أَذْهَبَ فَآكْتُبُهُمَا وَأَسْمَعُ مِنْ بَعْدِ. فَقُلْتُ: لَا آمَنْهُ الْحَدِيثَانِ. فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ يَكُونُ لَهُ هَذَا الطَّلَبُ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنْهُ فَإِنِّي أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ تِسْعِمِائَةَ شَيْخٍ كُلُّهُمْ يَقُولُ حَدِيثًا ثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ» (8)

* مكانة أهل البيت عليهم السلام

ما أعظمها من مدرسة؟! وما أعظم ما اشتملت عليه من علوم؟!!

فليس قول النبي صلى الله عليه وآله فيهم عليه السلام : «أذكركم الله في أهل بيته» (9) ولا قوله: «لا تعلموهم فهم أعلم منكم» (10) محاباة لهم لكونهم قرياه ، بل لكونهم حقا أصحاب هذه المنزلة العظيمة، وجد يرون بذلك لما وصلوا إليه من العلوم والمقامات.

لأحمد بن عبد العزيز المعروف بابن عياش من كبار علماء القرن الرابع، المتوفى في عام 401 كتاب باسم «مقتضب الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر» كنت قد اطلعت على نسخة منه قبل أكثر من 50 سنة، وكانت رديئة الطباعة، لذا صممت على إعادة طبعه، بعد أن وقفت على جميع الشواهد والأدلة على صحة نسبه لمؤلفه، واستخرجت رواياته أجمع من الكتب الأخرى التي كتبت بعده.

وقدمت له مقدمة نقلت فيها كلاما للشبراوي رئيس جامعة الأزهر الأسبق. الشيخ عبد الله الشبراوي له كتاب «الاتحاف بحب الأشراف» الذي كتبه في فضائل ذرية النبي صلى الله عليه وآله، ينقل فيه عن بعض أهل العلم

«إِنَّ آلَ الْبَيْتِ حَارُونَ وَالْفَضَائِلَ كُلَّهَا عِلْمَاءٌ وَحُلَمَاءٌ وَفَصَّاحَةٌ، وَذَكَاءٌ وَبِدِيهَةٌ وَجُوداً وَشُجَاعَةً. فَعُلُومُهُمْ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى تَكَرُّرِ دَرَسِهِ، وَلَا يَزِيدُ يَوْمَهُمْ فِيهَا عَلَى مَا كَانَ بِالْأَمْسِ. بَلْ هِيَ مَوَاهِبٌ مِنْ مَوْلَاهِم. مَنْ أَنْكَرَهَا وَأَرَادَ سِتْرَهَا كَانَ كَمَنْ أَرَادَ سِتْرَ وَجْهِ الشَّمْسِ. فَمَا سَأَلَهُمْ فِي الْعُلُومِ مُسْتَفِيدٌ وَوَقَفُوا وَلَا جَرَى مَعَهُمْ فِي مِضْمَارِ الْفَضْلِ فَوْماً إِلَّا عَجَزُوا وَتَخَلَّفُوا وَكَمَّ عَايِنُوا فِي الْجِلَادِ وَالْجِدَالِ أَمْوراً، فَتَلَقَّوْهَا بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ، وَمَا اسْتَكْبَرُوا وَمَا ضَعَفُوا تَقَرُّ الشَّقَائِقُ إِذَا هَدَرَتْ شَقَائِقُهُمْ وَتَصْغِي الْأَسْمَاعِ إِذَا قَالَ قَائِلُهُمْ وَنَطَقَ نَاطِقُهُمْ سَجَايَا خَصَمِهِمْ بِهَا خَالِقُهُمْ»

إلى أن يقول : «وَقَدْ أَشْرَقَ نُورُ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ الْهَاشِمِيَّةِ، وَالْبَيْضَةُ الطَّاهِرَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَالْعِصَابَةُ الْعَلَوِيَّةِ، وَهُمْ إِثْنَا عَشَرَ أَمَاماً مَنَاقِبُهُمْ عَلِيَّةٌ، وَصِفَاتُهُمْ سُنِّيَّةٌ، وَنَفُوسُهُمْ شَرِيفَةٌ أَبِيهِ، وَأُرُومَتُهُمْ كَرِيمَةٌ مُحَمَّدِيَّةٍ. ثُمَّ ذَكَرَ أَسْمَاءَهُمْ الشَّرِيفَةَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»

ختاماً أقول علينا أن نتعرف على عظمة أهل البيت عليهم السلام، وما وصلنا من علومهم وهدْيهم، وأن نوصل ذلك إلى أَسْمَاعِ النَّاسِ كَافَةً، لِيُغْتَرَفُوا مِنْ بَحْرِ هَذِهِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

مصادر:

1. الشوقيات أحمد الشوقي، مطبعة دار الشروق بمصر.

2. آل عمران؛ الآية 164.

3. نهج البلاغة؛ الخطبة 26.

4. نهج البلاغة؛ الخطبة 195.

5. نهج البلاغة؛ الخطبة192.

6. طبقات الحفاظ؛ الذهبي، الطبقة الخامسة، ص166.

7. رجال العلامة الحلي؛ القسم الثاني، الباب الرابع.

8. الرجال للنجاشي؛ شرح حسن بن علي بن زياد الوشا.

9. بحار الأنوار؛ ج23، الباب7، الحديث10.

10. الكافي؛ المجلد1، باب ما زعموا أن عز وجلّ ورَسُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.